## النص الشعري من المركز الى الهامش في عصر الرسول(ص) والو الخلفاء الراشدين ..

يعني صدر الإسلام عصر النبي (ص) والخلفاء الراشدين ، وهي تحديدا الفترة الزمنية التي بدأت بقيام الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان سنة 41 للهجرة ..

لقد ناقشنا درسنا النقدي، بناء على قضية المسؤولية التاريخية للأشكال الأدبية التي مكنتنا من فهم حركة النقد والشعر وحيثيات بنائها وعلاقتها بالشكل الأدبي ..

انطلاقا من ذلك يمكننا أن نفسر النص الشعري والنقدي في هذه الفترة الزمنية، إذ تجدر الإشارة إلى أن الحياة الأدبية في عهد البعثة الإسلامية قد تأثرت إلى حد كبير بالإسلام وبالنص القرآني، فبفعل الإسلام تغيرت قيم الأشياء والأخلاق في نظر العرب ، كما تغيرت القيم الثقافية والجمالية ،فبعد أن كان الشعر مركز الفكر والإبداع، أصبح النص القرآني مركزه ونزل الشعر إلى الهامش، إذ يتجلى صراع النصوص واضحا، رغم ذهاب كثير من النقاد والباحثين إلى تفسير ذلك لوجود الفتوحات الإسلامية التي نجدها سببا مهما في توضيح مسألة تراجع الشعر ،غير أنها ليست كافية ولا أساسية فالصراع بين النصوص هو أصل الحكاية ، ذلك أن النص الجديد /النص القرآني قد هيمن على العقول.

كما أن تراجع بعض الأغراض الشعرية كالغزل والهجاء راجع أيضا إلى الثقافة الجديدة التي وضعت قيما جديدة وحدودا للمقول الشعري حددها موقف النبي (ص ) في قوله ،لأن يمتلأ بطن أحدكم قيحا خير له من أن يمتلأ شعرا، خاصة وأن النبي (ص) كان الناقد الأول في صدر الإسلام ، فما علمناه الشعر وماينبغي له، فقد أثر عن النبي (ص) كلاما قد يخيل لمن يقرأه أن الرسول وقف من الشعر موقفين متناقضين:

فهو في موقف يذم الشعر؛ لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر .

ليأت القرآن مؤيدا هذا الموقف وذلك حين يقول :^والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا من سورة الشعراء.

وفي موضع آخر يمدحه ،حين يقول :إن من الشعر لحكمة ..

فقد اعتادت العرب على مبدأ أعذب الشعر أكذبه ، غير أن الفكر العربي في هذا المقام مر بمرحلة مختلفة قيدت فيها المشاعر واللغة والخطاب..

كما يظل النص الجديد/البديل أهم أسباب تراجع الشعر في هذه الفترة الزمانية من أزمنة الشعر ..

يعد الرسول (ص ) أهم من اتجه بالنقد هذا الإتجاه الجديد في عصره كما أثر عنه ذلك ؛ أنشده النابغة الجعدي مرة:

ولاخير في حلم إذا لم يكن له  بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

أعجب النبي (ص) بشعره فقال له :أجدت لايفضض الله فاك ..

وأنشده كعب بن زهير قصيدته، بانت سعاد فأعجب بها وبلغ من إعجابه بها أن صفح عن كعب ، وخلع عليه بردته التي اشتراها منه معاوية ثم توارثها الخلفاء من بعده وأشار أن يسمع شعر كعب بن زهير ..

كما أثر عنه بعض الكلام الذي يعبر عن مفهومه للشعر وعن الميزان الذي يرتضيه لتقديره، والتمييز بين مايستحسنه ومالا يستحسنه: إنما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه .

مايميزهذا النص تميز جنس الشعر من جنس كلام العرب ،يتميز بالتأليف ،أي النظم .

أما ميزان الشعر عنده فيتمثل في مدى مطابقته للحق/ تعاليم الدين الإسلامي،او عدم مطابقته..

ويطلق صدر الإسلام على عصر الرسول والخلفاء الراشدين؛ إذ لم يشجعوا الشعراء كثيرا على قول الشعر مما أسس لعدم تطوره، بل كانوا يشجعون على القرآن ويكافئون من يهتم به.

فقد روى صاحب الأغاني أن غالبا أبا الفرزدق جاء عليا بن أبي طالب بالفرزدق بعد موقعة الجمل فقال:إن بني هذا من شعراء مضر فاسمع منه،فقال علي:علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق،فقيد نفسه وآلى أن لايحل قيده حتى يحفظ القرآن.(أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ج11ص9)

كذلك شجع عمر بن الخطاب من يعدل عن الشعر إلى القرآن، ومن كلماته في ذلك:اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونون من أهله.(الجاحظ .البيان والتبيين .ج2 ص 70).

ثم إن المواضع التي شجع فيها عمر على الشعر كانت توجيها وتقييدا له :^علموا أولادكم العوم والفروسية وروهم ماسار من الأمثال وحسن من الالشعر^عن البيان والتبيين ج2ص 180.

فكلمة حسن من الشعر في هذا المقام تشي بكثير من التقييد والإبتعاد عن مقولة العرب أعذب الشعر أكذبه، نستنتج منها أن الشعر عند الخلفاء كان موجها مقيدا تماما كما كان في عهد النبي (ص).

ومن هذا القبيل قصته مع الحطيئة، حيث جاء في الأغاني أن يزيد بن أسلم روى عن أبيه قوله:^أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده، وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره، فأخرجه من السجن فأنشده قوله:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

زغب الحواصل لاماء ولا شجر؟

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله ياعمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه

ألقى إليك مقاليد النهى البشر

قال فبكى عمر حين قال:ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ،فأطلق سراحه .

نستنتج أن هذا النوع من الشعر الذي يدغدغ المشاعر الإنسانية ويستعطفها قد كان مما حبذه الخليفة عمر ..لعلنا سنقف مع عمر تحديدا كونه عرف بذوقه الأدبي وعلمه بالشعر وإصدار الأحكام فيه، فكثيرا ماكان يتجاذب الحديث مع وفود العرب التي كانت بدافع الحنين الى الماضي تخوض في الشعر ، فقد تحدث مرة مع وفد غطفان فقال:يامعشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة

لمبلغك الواشي أغش وأكذب

قالوا النابغة يا أمير المؤمنين، قال فأيكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا النابغة ،قال فأيكم الذي يقول:

إلى ابن محرق أهملت نفسي

وراحلتي وقد هدت العيون

أتيتك عاريا خلقا ثيابي

على خوف تظن بي الظنون قالوا النابغة يا أمير المؤمنين قال، هذا أشعركم شعرائكم .

نستنتج أن النقد غير المعلل ظل مهيمنا حتى في عهد الخلفاء رغم نباهة عمر النقدية وتذوقه للشعر، فقد جاء هذا الخبر مجردا من التفسير والتعليل .

وقد مضى عمر على نهج النبي (ص) في استحسان ما وافق الحق واستهجان مخالفه ،فمن أخباره مع الشعراء أن ابن سلام روى أن سحيما عبد بن الحسحاس أنشد عمر بن الخطاب قوله:

عميرة ودع إن تجهزت غاديا

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر :لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه ، ولو قدمت الإ سلام على الشيب لأجزتك ..

رغم أننا نقف على النقد النقد التعليلي مع عمر في أحد المواضع التي جعلت من نقده ذاك محطة هامة؛ روى أبو الفرج الأصفهاني عن ابن عباس قوله :خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها ،فقال لي ذات ليلة :ياابن عباس، أنشدني لشاعر الشعراء قلت:ومن هو يا أمير المؤمنين؟قال:ابن أبي سلمى ،قلت وبم صار كذلك؟

قال :لأنه لايتبع حوشي الكلام ،ولا يعاظل في المنطق ، ولا يقول إلا مايعرف ، ولايمدح الرجل إلا بما يكون فيه ..

فقد دخل النقد بهذا الخبر على يد عمر مرحلة جديدة لم تكن من قبل،فجميع الأحكام النقدية التي مرت بنا منذ عصر ماقبل الإسلام إذا استثنينا رأي أم جندب في علقمة وامرئ القيس كانت أحكاما غير معللة، يرد فيها الحكم دون تفسير أو ذكر أسباب التفضيل